

برنامج [الكتاب الناطق] - الحلقة 21 - المشاهدة ج 2

الإثنين 29/2/2016م - الموافق 20 جمادى الأول 1437هـ

❖ هذه الحلقة هي الجزء المكمل للحلقة المتقدمة، والتي عنوانها (المشاهدة)، وكان الحديث في الحلقة السابقة في أجواء التوقيع الأخير الذي وصل إلى السفير الرابع من إمام زماننا عليه السلام.. واشتملت على عرض إجمالي لأقوال علمائنا ومراجعنا في بيان المراد من عنوان (المشاهدة) الوارد في التوقيع، واتفاق أغلب الأقوال على أن المراد من (المشاهدة) هو (الرؤية مع ادعاء النيابة).

❖ في هذه الحلقة أريد أن أعرض أمثلة لأشخاص هم في مواجهة المؤسسة الدينية الرسمية، وأعرض أقوالهم، لنرى هؤلاء أيضاً من أين يأخذون:

❖ الشخصية 1: أحمد اسماعيل الذي يُلقب نفسه باليماني. وقفة عند كراس تحت عنوان (نصيحة إلى طلبة الحوزات العلمية و إلى كل من يطلب الحق) من إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام العدد 31، فيه بيان صادر من أحمد اسماعيل. يقول في هذه النصيحة المُشتملة على أخطاء نحوية ولغوية وصرفية وإملائية وكذلك أخطاء فاضحة في أسلوب التعبير، يقول: (وهل أرجعت يا من تكتب في قضية الإمام (ع) متشابه كلامهم إلى محكم كلامهم؟ والآن أسأل: هل أن رواية علي بن محمد السمرى محكمة أم متشابهة؟ فإن قلت محكمة بينة المعنى.

أقول: لقد صنف كثير من العلماء معاني كثيرة في فهمها، منهم السيد مصطفى الكاظمي (رحمه الله) والسيد الصدر (رحمه الله) وغيرهم. وهذا يدل على عدم وضوح معناها لهم بشكل لا يقبل اللبس فلا تكن محكمة بل متشابهة... فهو يقول أن هذا التوقيع الأخير لإمام زماننا هو من المُتشابهات، وليس من الأحاديث المحكمة.

● قول أحمد اسماعيل بأن توقيع الإمام من المتشابه وليس المحكم؛ لأجل أن يُؤسس لأساس وهو أنه يُميز بين المحكم والمُتشابه باعتبار أنه معصوم - كما يدعي -.. فهذا التوقيع محكم في غاية الإحكام، وسيُتضح ذلك جيداً في الحلقة. وأما هذا الرجل فلا خبرة له في حديث أهل البيت، كما لا خبرة له في مقدمات الكتابة والقراءة. وهو إمّا قال بأنه مُتشابه فراراً ممّا ذكره العلماء بأن المُشاهدة هي الرؤية مع ادعاء النيابة، وهو يدعي ما يدعي.

● أيضاً أحد أتباع أحمد اسماعيل.. وهو ضياء الزيدي، ورأيه هو نفس رأي أحمد اسماعيل، بأن هذا التوقيع من المُتشابهات،

● إصدار آخر من إصدارات أنصار الإمام المهدي، تحت عنوان (أدلة الدعوة الحقّة) جاء فيه: (على الرغم من كون التوقيع متشابه الدلالة كما يتضح لكل من يقرؤه...) إلى أن يقول: (ولننظر الآن في كلمات بعض أهم من تحدّثوا عن التوقيع الشريف، لنرى مقدار التضارب الحاصل في أفهامهم، ممّا يعزّز ما سبق أن أشرنا إليه من تشابه التوقيع).

❖ أحمد اسماعيل بنى وجهة نظره على أن هذا التوقيع من الحديث المُتشابه لأن العلماء خلطوا وخبطوا في معناه، وهذا أدل دليل على عدم إمامته، إذ لو كان إماماً كما احتج أن يُشخص الحديث المُتشابه من المحكم على أساس الاشتباهات والحيرة والتردّد الذي وقع فيه علماءنا. بينما تحديد كون الحديث مُتشابه أو محكم لا بُدّ أن يكون داخل منظومة الحديث من خلال الراسخين في العلم (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم). فالمحكم والمُتشابه إمّا يُشخص داخل منظومة (الكتاب والعترة) سواء كان هذا المحكم والمُتشابه من آيات الكتاب الكريم أو من أحاديث العترة الطاهرة.

❖ حديث الإمام الرضا في (عيون أخبار الرضا: ج 1). (مَن ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هُدي إلى صراط مستقيم، ثمّ قال عليه السلام: إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمُحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا)

❖ أقول لأتباع أحمد اسماعيل: إذا ثبت بين أيديكم بأن هذا الحديث حديث محكم، فهذا يعني أن إمامكم لا يُميز بين المتشابه والمحكم، وحينئذ تسقط إمامته. لأنّه إذا كان في مرّة واحدة لم يتمكّن من تمييز المتشابه من المحكم، فأين العصمة، وأين العلم العبيبي، وأين الإمامة، وأين المعرفة بحديث من يدعي أنّه وصي له؟

❖ الشخصية 2: حيدر مشّت الملقّب بـ(القحطاني)، هو أيضاً في كتاب له تحت عنوان (القحطاني يناقش العلماء والمدّعين)، لم يخرج في بيان عنوان (المشاهدة) عن معنى الرؤية

❖ وقفة عند هذه الرواية المعروفة في الجزء 52 من بحار الأنوار (قصة الجزيرة الخضراء)، وهي منقولة عن الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني. يقول وهو يتحدث مع شمس الدين العالم - الذي هو بحسب القصة من ذراري الإمام الحجة ونائبه الخاص - يقول له: (يا سيدي قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام أنه قال: لما أمر بالغيبة الكبرى: من رأني بعد غيبتني فقد كذب، فكيف فيكم من يراه؟ فقال: صدقت إنه عليه السلام إنما قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته، وغيرهم من فراغة بني العباس، حتى أن الشيعة يمنع بعضها بعضاً عن التحدث بذكره، وفي هذا الزمان تطاولت المدّة وأيس منه الأعداء، وبلادنا نائية عنهم، وعن ظلمهم وعنائهم، وبركته عليه السلام لا يقدر أحد من الأعداء على الوصول إلينا) فالمازندراني يفهم المشاهدة بأنها رؤية، وكذلك أهل الجزيرة الخضراء هم أيضاً لا يفهمون حديث أهل البيت بحسب أهل البيت!

❖ رواية الجزيرة الخضراء لم ترد عن أهل البيت "عليهم السلام"، وإنما وردت عن العلماء، ومنهجي في التعامل مع حديث العلماء أن الأصل فيه عدم الصحة حتى يثبت العكس.

❖ أنا أؤمن أن بعضاً من قصة الجزيرة الخضراء فيه شيء من الصحة، أما القصة بكل تفاصيلها لا أؤمن بها، والسبب: لأن المازندراني في نهاية القصة يقول: (لم أر لعلماء الإمامية ذكراً سوى خمسة: السيد مرتضى الموسوي، والشيخ أبي جعفر الطوسي، ومحمد بن يعقوب الكليني، وابن بابويه والشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلبي). الشيخ الطوسي، والمحقق الحلبي من أكثر علماء الشيعة تأثراً بفكر الشافعي وفكر المخالفين، فما الذي أخذهم إلى الجزيرة الخضراء؟! خصوصاً أن المازندراني يقول في القصة أنهم في الجزيرة الخضراء كانوا يدرسون أصول الدين والفقه الذي يقرؤونه عن صاحب الأمر مسألة مسألة، وقضية قضية، وحكماً حكماً.. فإذا كان الحال كما يقول، فما حاجتهم للعلماء أصلاً كالطوسي والحلي والكليني وغيرهم..؟! (فهي قصة تشبه قصة الكرامة المفتعلة التي رتبها العلماء للشيخ الطوسي بشأن عصمة كتابه النهاية!!)

❖ وقفة تبين لنا كيف نفهم معنى (المشاهدة) في منهج أهل البيت عليهم السلام:

● قول الإمام في التوقيع الشريف (فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد) أي: أغلق جميع الملفات، ولا تترك عملاً ناقصاً من بعدك، فيأتي من يدعي أنه يريد إتمام ذلك الأمر الناقص، وعبارة (لا توص إلى أحد) هذه العبارة تنفي السفارة، وتسد الباب على كل من يدعيها، فلا حاجة لأن تشمل كلمة (المشاهدة) على معنى السفارة، لأن عبارة (لا توص إلى أحد) أنهت هذه القضية. والذي يدعي السفارة يكون أولى رد دعواه بالشرط الأول من التوقيع وهو عبارة (لا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك) لأنها أغلقت باب السفارة لأن السفارة تأتي بالتواتر والتواصل، وليس بعبارة (فمن ادعى المشاهدة).

❖ هناك ثلاث مصطلحات مهمة جداً على الشيعي أن يعرفها: (الحضور - الغيبة - الظهور)

● أما (عصر الحضور) فهو من بداية بعثة النبي الأعظم، إلى أن أنهى إمام زماننا على أبيه ودخل في السرداب الشريف، وهذا العصر انتهى.

● أما (عصر الغيبة) فهو من بعد صلاة إمام زماننا على أبيه، ودخوله السرداب الشريف وحتى يومنا هذا.. وستستمر الغيبة إلى أن يظهر إمام زماننا وحينها يبدأ (عصر الظهور).. ويمكن أن تشمل الغيبة على شيء من الحضور وهذا ما سيأتي بيانه. هذه المصطلحات مهمة جداً لمن يريد أن يعرف حقائق هذا التوقيع الشريف، ولمن يريد أن يعرف شؤون إمام زماننا عليه السلام.

❖ التوقيع الشريف لم ينف (المشاهدة) وإنما نفى (ادعاء المشاهدة).. وهذه النقطة مهمة جداً لابد من الالتفات إليها. يعني فقط من يدعي المشاهدة فإنه يكذب.. وهذا لا يعني أن المشاهدة لا تقع فقد تقع المشاهدة، ولكن الذين تقع لهم المشاهدة لا يدعون ذلك.

❖ المشاهدة في اللغة تعني: المعاينة.. (فهي حضور ونظر وإلتفات مع الوعي والإدراك والرعاية والدراية) وهذا المعنى لا يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى ادعاء السفارة.

❖ تصور علمائنا أن معنى (المشاهدة) هو الرؤية والمعاينة حمل أحدهم على تحريف رواية للإمام السجاد الذي يتحدث فيها عن صفات المنتظرين في زمان الغيبة، فحرف عبارة (صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة) إلى عبارة (صارت به الغيبة عندهم بمنزلة العيان). [راجع موسوعة الإمام المهدي للسيد محمد الصدر: ج2].

❖ تغيير عبارة (المشاهدة) إلى (العيان) هذا تحريف لفظي، وتحريف معنوي أيضاً؛ لأنَّ الإمام استعمل كلمة المشاهدة ليس بالمعنى اللغوي، وإنما استعملها بنحو مخصوص، فهو مصطلح خاص في حديث العترة.

❖ الأصل في فهم حديث أهل البيت هو أن نعود إلى قواعد الفهم التي وضعها أهل البيت، ومنهج (لحن القول) وليس إلى الظهور العرفي. ولكن بحسب الظهور العرفي الذي يحتج به العلماء والمراجع في فهم حديث أهل البيت، فالظهور العرفي لا يدل على أنَّ المشاهدة تدل على ادعاء السفارة.

❖ العلماء وقعوا في حيرة من أمرهم، فهناك الكثير من الشيعة رأوا الإمام، والعلماء يعتقدون أنَّ المشاهدة تعني الرؤية، والتوقيع يكذب مدعي المشاهدة، فحملوا العبارة أكثر مما تحتمل، وحرّفوا معناها، وأضافوا لها شيئاً ابتداءً من عندهم، فقالوا بأنَّ تعبير (المشاهدة) يتضمّن معنى السفارة! مع أنَّ اللغة لا تُعين على ذلك، ولا حتّى الظهور العرفي.

❖ الصلاة في اللغة دعاء، وهي في الديانات الأخرى لها خصوصياتها.. أما الصلاة في ديننا فهي مصطلح خاص له خصوصية معينة، والمشاهدة هي مثل مصطلح الصلاة.. فهي مصطلح له خصوصية استعمله أئمتنا منذ البدايات.

❖ جولة في أحاديث العترة لفهم معنى مصطلح (المشاهدة) عند أهل البيت:

● (..ألا فَمَن كان من شيعتنا، عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يَتِيمٌ في حِجره، ألا فَمَن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى، حدّثني بذلك أبي عن آبائه عن رسول الله..) يعني أنَّ هذا الحديث وهذا المصطلح مستعمل من أيام رسول الله "صلى الله عليه وآله". فهو مصطلح خاص من مصطلحات (الثقافة المهدوية).

● (من كفل لنا يتيماً قطعته عنّا محتتنا باستئراننا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتّى أرشده وهداه، قال الله عزّ وجل له: يا أيها العبد الكريم المواسي إني أولى بالكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلّ حرف علّمه ألف ألف قصر، وضمّوا إليها ما يليق بها من سائر النعم)

● (فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنّا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشدُّ على إبليس من ألف عابد).

● (إنّ من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحرّين في جهلهم، الأبراء في أيدي شياطينهم، وفي أيدي التواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين بردّ وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربّهم، ودليل أئمتهم، ليُفضّلون عند الله تعالى على العابد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السّماء على الأرض، والعرش والكرسي والحُجُب على السّماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السّماء).

❖ كل هذه الروايات السابقة والتي استخدمت مصطلح (المشاهدة) تتحدّث عن شيعة متحرّين منقطعين عن أئمتهم، يعني لا يملكون التواصل مع أئمتهم، كما يتواصل الشيعة مع أئمتهم في زمان الحضور. فالمراد من المشاهدة في حديث العترة هو التواصل مع الأئمة كما كان الشيعة يتواصلون مع الأئمة في زمان الحضور..

❖ التوقيع الشريف لم ينف أصل وقوع المشاهدة في زمان الغيبة، وإنما كذب الإدعاء فقط، لأنّ هناك من الشيعة من يرون الإمام في زمان الغيبة، ولكنهم لا يدعون ذلك، ولا يكشفون هذه الأسرار، وهذه الأسرار تذهب معهم إلى قبورهم. (عرض روايات من حديث العترة تُبيّن أنّ هناك من الشيعة من يُشاهدون الإمام في زمان الغيبة، ويتواصلون معه، ولكن لا يدعون ذلك)

● (للقائم غيبتان: إحداها قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة مواليه).

● (للقائم غيبتان: إحداها طويلة، والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم مكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه)

● (إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداها تطول حتّى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قُتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفرٌ يسير، لا يطلّع على موضعه أحد من ولي ولا غيره، إلا المولى الذي يلي أمره)

● (يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشّعب - وأومى بيده إلى ناحية ذي طوى - حتى إذا كان قبل خروجه أتى المولى الذي كان معه حتّى يلقي بعض أصحابه، فيقول: كم أنتم ها هنا؟ فيقولون: نحو من أربعين رجلاً. فيقول: كيف أنتم لو رأيتم

صاحبكم؟ فيقولون: والله لو ناوى بنا الجبال لناويناها معه، ثمَّ يأتيهم من القابلة ويقول: أشيروا إلى رؤسائكم أو خياركم عشرة، فيشيرون له إليهم فينطلق بهم حتَّى يلقوا صاحبهم ويعدهم الليلة التي تليها...)

● (لا يقوم القائم حتَّى يقوم اثنا عشر رجلاً كلَّهم يُجمع على قول إنَّهم قد رأوه فيكذبونهم)

❖ مَنْ أراد أن يعرف إمام زمانه فعليه بغيبة التَّعماني، فمع أنَّه كتاب مختصر، ولكنَّ التَّعماني جمع فيه جواهر الحديث.

❖ وقفة عند الرِّسالتين اللَّتين وصلتا إلى الشَّيخ المفيد (بحار الأنوار: ج53)

● (ولو أنَّ أشياعنا وفَّقهم الله لطاعته، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، كما تأخَّر عنهم اليُمن بلقائنا، ولتعجَّلت لهم، السَّعادة بمشاهدتنا، على حقِّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلَّا ما يتَّصل بنا ممَّا نكرهه، ولا نُؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل).

● (فإنَّما يحيط علمنا بأبائكم، ولا يعزب عنَّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالزلزل الذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السَّلف الصَّالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنَّهم لا يعلمون. إنَّما غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء..)

❖ (ما كان السَّلف الصَّالح عنه شاسعاً) أي عدم استعمال السَّلف الصَّالح لوسائل الاستنباط التي يستعملها المخالفون، وعدم اللجوء لقواعد الفكر النَّاصبي.

❖ (ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم) الخروج عن الكتاب والعترة هو نبذ للعهد.

❖ (إنَّما غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم) هذا هو لطف إمام زماننا بالشَّيعة رغم خيانتهم للعهد.. ومن هنا أكرَّر دائماً أنَّي لا أسئ الظنَّ بعلمائنا وبنيات مراجعنا، فهذا هو أدب إمام زماننا، ولو كانت نواياهم سيئة لما كان الإمام يقول هذا الكلام عنهم، لكنَّهم خدَّعوا من حيث لا يشعرون.

❖ خيانة الشَّيعة لعهد الإمامة بخروجهم عن منهج الكتاب والعترة هو الذي حرَّمهم من نعمة المشاهدة.. ونحن لأنَّنا نتحقَّقنا بهذه الثقافة، فالأمر معنا نفس الأمر، فما كان من حظنا أن نكون من أصحاب المشاهدة.

❖ أحد الشَّيعة نال حظاً من المشاهدة، والإمام أمره أن يُخبر الثَّقَات من الشَّيعة بذلك، ولو لم يكن الإمام قد أمره كما تحدَّث وهو (إبراهيم بن مهزيار). مقطع من الرِّواية: (فمكثت عنده حيناً أقتبس ما أودِّي إليهم من موضحات الأعلام ونيرات الأحكام، وأروي نبات الصِّدور من نضارة ما أدخره الله في طبائعه من لطائف الحِكْم وطرائف فواضل القِسْم، حتَّى خفتُ إضاعة مُخَلَّفِي بالأهواز لتراخي اللِّقاء عنهم فاستأذنته بالقول...) إلى أن تقول الرِّواية: (يا أبا إسحاق ليكن مجلسي هذا عندك مكتوماً إلَّا عن أهل التَّصديق والأخوة الصَّادقة في الدِّين..) فالَّذي أمره أن يتحدَّث هو الإمام

❖ وقفة (هامّة) عند رواية الإمام السَّجاد مع أبي خالد الكابلي في الحديث عن أوصاف أهل زمان الغيبة المنتظرين لظهور الإمام: (يا أبا خالد إنَّ أهل زمان غيبته القائِلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلِّ زمان، لأنَّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة...). لا معنى للمُشاهدة في هذه الرِّواية إلَّا معنى الحضور كما بيَّنت الرِّوايات التي تمَّت الإشارة إليها. (ولو رجع علماؤنا إلى تفسير الإمام العسكري لوجدوا فيه روايات كثيرة تُبيِّن معنى المشاهدة).

❖ لو أنَّ هذا التَّوقيع الأخير لإمام زماننا جعل أساساً للثقافة الشَّيعية، بأن يكون الشَّيعة على علم بأنَّ هناك من الشَّيعة من تكون له صلة بإمام زمانه لكنَّه لن يبوح بذلك، وتذهب الأسرار معه إلى قبره.. ألا تتمنَّى الشَّيعة حينئذٍ أن تكون بهذه المنزلة، وأن تتوفَّر قاعدة ثقافية في المجتمع الشَّيعي التي تجعل

❖ قول الإمام السَّجاد (والمنتظرين لظهوره) أي المنتظرين عملياً وليس الانتظار العاطفي.. وهذا الوصف لا ينطبق علينا.

❖ في دعائنا لفرج الإمام الحجَّة أليس المفروض أن نُحقق شروط استجابة الدَّعاء..؟ الدَّعاء من دون عمل هو سُخرية من الإمام الحجَّة.

❖ وقفة عند رواية (رزية الخميس) في صحيح البخاري، ومنع الصَّحابة لرسول الله من كتابة كتاب يُثبت فيه منهج الكتاب والعترة، والشُّبه الكبير بين هذه الحادثة وبين ما حصل مع التَّوقيع الأخير لإمام زماننا، فالاختراق النَّاصبي للواقع الشَّيعي جعل علماء الشَّيعة

ومراجع الشيعة لا يعرفون مضمون آخر كتاب لإمام زمانهم! فكما أنّ مضمون كتاب رسول الله ما وصل إلى المسلمين لأنّ الصحابة منعوا من كتابته، بفصل الكتاب عن العترة، فكذلك آخر كتاب لإمام زماننا ما صل مضمونه للشيعة، لأنّ علماء الشيعة لم يفهموا الكتاب بشكلٍ صحيح بسبب مخالفتهم لمنهج الكتاب والعترة.